نـافـذة

عبد الناصر والإشكالية!

نشرت أمس مقالاً موسعاً في كتاب د. سامي مبيض «عبد الناصر والتأميم» وفي الدراسة أشرت إلى أن مبيض يبدأ واضحاً ابناً للبورجوازية الدمشقية، وفي تقديمه يبرز ذلك، لأنه متضرر بالأسرة والسلالة من التأميم وتبعاته، ومجريات الأحداث والتاريخ أثبتت أن قرارات التأميم لم تسر بسورية بالاتجاه الصحيح، وما وصلنا إليه كان نتيجة طبيعية لسلبية الإجراءات، وارتجالية قرارات التأميم، ولو أن التأميم عاد على الوطن بمصالح عليا حقيقية، ورفع من مستوى ازدهار الاقتصاد، لكان بإمكاننا أن نقول كلاماً آخر للدكتور مبيض، بل كنا سنجد سامي مبيض يقول كلاماً آخر، أو يتردد في نشر رأيه إن كان شخصياً ومعارضاً لما حقق التأميم من مصالح السوريين والمصريين على السواء، أما التأميم فلم يكن كذلك، وأنا ابن بيئة فقيرة، لم يعد التأميم عليها بشيء، وإنما كان له نتيجتان: الأولى قتل الوحدة التي تربص بها أعداؤها في الداخل والخارج، وخاصة في الدول التي تدور في المحور الغربي آنذاك، والثاني محاولة الإساءة لرمز قومي وحدوي هو أول رئيس عربي لجمهورية مصر، وختمت الدراسة بأن عبد الناصر كان مسؤولاً عن أخطاء التأميم وانتهاء الوحدة، وهذا ليس ابتداعاً، فهو الزعيم الذي لا يعارض قراره أحد، حتى على المستويات الشعبية والدولية، وهو القائد الذي يعلم ما يقوم به الغرب ضده في اليمن وسواها، لذلك عمد إلى الإسهام في تأسيس منظمة دول عدم الانحياز في باندونغ، وقبل كل ذلك هو الشخص الذي اعترف بأخطائه، وكلنا يذكر خطابه في النكسة عندما تحمّل المسؤولية عن الهزيمة، وهو حقاً يحملها ويعرف بأنه باختياراته ورجالاته وصل إلى هذه النتيجة، ونعلم جميعاً أن عبد الناصر بدأ بإعداد الجيش إعداداً لائقاً، وخاض حرب الاستنزاف، وكان مستعداً لخوض حرب قادمة، والجيش المصري الذي خاض حرب ١٩٧٣ أعده عبد الناصر، لكن الظروف تغيرت، وعلى الرغم من التآمر خرج من اليمن، فهل كان الخروج مظفراً؟ أما بين الناصريين من ينتقد تجربة اليمن ليس في مراميها، بل في طريقة دخولها وخوضها؟

جاءتني ردود فعل من أساتذة ومفكرين أجلهم وأحترمهم، وأشاركهم الميول والهوى، ومن ذلك ما أرسله الأستاذ صفوان قدسي الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي في رسالة تظهر اهتمامه وعمقه وفيها اعتراض وعتب على تحميل عبد الناصر الرمز مسؤولية ما جرى، وأنا أقدر ذلك، وأتمنى لو كنت أتمكن من عدم قولها.. المهم بالنتائج، التأميم عظيم عندما يعود على الشعب كله وعلى الوطن بالبحبوحة والتقدم، فهو نبيل، ومن أقدم عليه فإنما أقدم بحب ونبل مقصد، لكن ماذا عن النتائج؟ ألم تكن بتحطيم حلم لعبد الناصر والعرب؟ ونشر الفكر القومي، والانتصار له مهم، فهل تحققت الغاية في اليمن آنذاك؟

لاشك في أن الزعماء في المفاصل التاريخية نحمل لهم التوقير والحب، لكننا بحاجة إلى تقويم المراحل لننهض من كبوتنا، وألا نسمح لأحدهم أن يثري على حساب زعامة الزعماء المخلصين، وكان بودي أن أذكر الآراء التي أحترمها، ولكن المهنية تمنع من ذلك، وخاصة أن الآراء جاءت على الخاص، وليس من حقي أن أنشرها إلا بعد سماح صاحبها.

عبد الناصر كان نقياً وصاحب غايات نبيلة في الاقتصاد والسياسة والمجتمع، لكن خياراته كانت غير صائبة في رجالاته فقتل مشروعه!

عبد الناصر كان نظيفاً، ولو لم يكن كذلك لشهّروا به، وكلنا يعلم المحاولات للنيل منه، لكنها أخفقت لأن عبد الناصر كان نزيهاً وشريفاً.

لكن عبد الناصر كان إنساناً، وهو مسؤول بلسانه قبل غيره عن قراراته ومشوراته، فكما تحمل بنفسه مسؤولية الهزيمة، وعمل على تجاوزها، فلنعمل على تقويم التجارب وانتقادها، وخاصة أن الذين عاصروا الوحدة، والتقوا عبد الناصر مثل الأستاذ عبد الله الخاني الذي تحدث لـ«الوطن» سابقاً عن أخطاء تطبيق الوحدة كما سمع من الرئيس شكري القوتلي، وكما شاهد بنفسه، فالوحدة كان يجب أن تتم، ولكن ليس بالطريقة التي تمت، وعلى الرغم من الملاحظات وقّع القوتلي وبارك وانسحب بسلام.. الوحدة كانت كائناً عظيماً بين يدي رجالات السياسة، فهل يعفي أحدهم نفسه من مسؤولية انهيارها؟

أعود لأقول لأستاذي الجليل الذي أفخر برأيه: لست من البورجوازية، بل في الطبقة الفقيرة الفلاحية، وأنا قومي ووطني حتى النخاع ولست ممن ينتظرون الخطأ من الآخر، ولا أنتمي إلى السلالات التي تضررت بالتأميم، لكن معمل الدبس والخماسية وغيرها كان من المفترض أن تتوالد لتصبح على مساحة الوطن، لا أن تصبح مؤسسة تعج بالموظفين أصحاب البطالة المقنعة، لتتحول هذه البطالة إلى منهج في العمل المؤسسي والحكومي.. المؤلف قدم وجهة نظر أخرى مغايرة للسائد والمألوف وقالها بوضوح بأنها للدفاع عن البورجوازية الوطنية السورية، ولم يخف ذلك ليضع السم في الدسم، وكانت المقدمة لرجل من رجالات سورية والوحدة، فمن حقه أن يقول: ومن حقنا أن نقرأ..

ومن حق عبد الناصر علينا أن نعاتبه بحب لأنه اختار من الرجال من لا يستحق أن يكون أميناً على الوحدة.. منهجية أعتقدها بحب، وأنا عاصرت صورة شخصية من عبد الناصر أرسلها بتوقيعه لمواطن بسيط طلبها بالبريد هو أبي.. لكن ثمة فرق بين الشخص ونقائه وبناء الدول والقرارات المصيرية التي يشترك فيها الكثيرون من المستشارين، لكنهم يرحلون وينسون، ويبقى الرمز يتحمل المسؤولية، وهذا لا يعني أنه لم يكن عظيماً.

تآمر الكون على عبد الناصر كما يتآمر اليوم على العرب وسورية خاصة، ولكن تآمر العالم كله يتحطم أمام العزيمة، ولا يمكن أن يمر تآمر إن لم يشارك به أبناء الجلدة نفسها، وهذا فقط ما آخذه من باب الإدارة بالنتائج على أمل البسطاء والقوميين جمال عبد الناصر، وأردد مع الخال عبد الرحمن الأبنودي: يعيش جمال عبد الناصر بصوته وأحلامه.. مش ناصري ولا كنت في يوم.. إزاي ينسينا الحاضر طعم الأصالة اللي في صوته يعيش حتى في موته، ما هو مات فعاش عبد الناصر.. أحب الشخص فأحبه أكثر جمالاً ومبرأ من الأخطاء الجسيمة، وأختلف مع الآخر لكنني أسمعه لأكون ابناً للمنطق لا للعاطفة.. شكري لكل من قرأ وأعطاني من وقته الثمين.

إسماعيل مروة

أهداف التنمية المستدامة لا يمكن تحقيقها دون مساهمة التعليم العالي

التحديات المعرفية والثقافية تحتاج أجيالاً من الأكاديميين الجدد والمهنيين المهرة

أ. د. وائل معـــلا
رئيس جامعة دمشق سابقاً

استرعى انتباهي مقال نشر مؤخراً في الطبعة العالمية من المجلة الإلكترونية البريطانية «عالم الجامعات» University World News التي تعنى بأخبار التعليم العالي في جميع أنحاء العالم، في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ تموز ٢٠١٩، أكد أهمية دور التعليم العالي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة التي تعدّ إطاراً متفقاً عليه دولياً للتصدي للفقر وعدم المساواة والمرض وتغير المناخ، معتبراً أن مساهمة التعليم العالي أمرٌ لا بد منه لتحقيق تلك الأهداف من خلال البحث العلمي، والتعليم، والمشاركة المجتمعية.

كانت تلك هي الرسالة الرئيسية لبيان أصدرته الرابطة الدولية للجامعات International Association of Universities، والوكالة الجامعية للفرانكفونية Agence universitaire de la Francophonie، ورابطة جامعات الكومنولث Association of Commonwealth Universities في المنتدى السياسي الرفيع المستوى للأمم المتحدة بشأن التنمية المستدامة الذي عقد في نيويورك خلال الشهر الماضي ونظّمته «مبادرة التعليم العالي للاستدامة» Higher Education Sustainability Initiative.

في هذا المؤتمر، قامت المنظمات الجامعية الثلاث التي تمثّل مجتمعة أكثر من ٢٠٠٠ جامعة على مستوى العالم، برفع الصوت للدفاع عن أهمية التعليم العالي من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والدعوة إلى شراكات داخل القطاع وخارجه لتحقيق الأهداف المنشودة.

وفي البيان الختامي، أكد المؤتمرون أنه «لا يمكن تحقيق أي هدف من أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر من دون مساهمة التعليم العالي والبحث العلمي. فمن خلال البحوث العلمية، تلعب الجامعات دوراً فريدًا في إنتاج معارف وابتكارات جديدةٍ لمواجهة التحديات العالمية. ومن خلال التدريس، تطوِّر الجامعات أجيالا من القادة الجدد والمهنيين المهرة الذين سيدفعون قدُماً عجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية. ومن خلال المشاركة المجتمعية، تعمل الجامعات مع مجموعة متنوعة غنية من أصحاب المصلحة بما في ذلك الحكومات، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني، للمساهمة في التأثير المحلي والوطني والعالمي.

ويشكِّل المنتدى الذي يعقد سنوياً وتستمر أعماله على مدى أسبوعين خطوة كبيرة إلى الأمام بالنسبة للتعليم العالي الذي كان، في السنوات السابقة غائبا إلى حد كبير عن المناقشات المتعلقة بالأهداف الإنمائية للألفية Millennium Development Goals، وعن أهداف التنمية المستدامة التي تلتها. تُرفع النتائج التي يخرج بها المنتدى إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر أيلول من كل عام، وتُحال إلى اجتماع يُعقد على مستوى رؤساء الحكومات للنظر في ما يجب القيام به للحفاظ على المسار الصحيح لتحقيق أهداف التنمية المستدامة بحلول عام ٢٠٣٠.

وقد تم في المنتدى الأخير تسليط الضوء بشكل خاص على الدور الذي يمكن أن تلعبه الجامعات في تحقيق الهدف الرابع SDG4 من أهداف التنمية المستدامة (وهو هدف التعليم)، الذي لم يلق حتى الآن إلا التأييد الكلامي من دون القيام بالكثير على أرض الواقع، ولا يزال يفتقر إلى طريقة جيدة لقياس مساهمة التعليم العالي في تحقيق هذا الهدف، أو أي من الأهداف الأخرى. وبالتالي، فإن هدف المنتدى هو دعوة الأمم المتحدة والوكالات العالمية للاستجابة للحاجة إلى أنظمة تعليم عال قوية على مستوى العالم لتحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة وغيرها من الأهداف.

إطلاق شبكة جديدة

أطلق المنتدى شبكة جديدة – أعلن عنها في نيويورك – لزيادة مساهمة الجامعات في أهداف التنمية المستدامة. ودعا في البيان الذي أصدره الجامعات لأن تسخِّر جهودها لهذا الغرض. وهذا يعني العمل في هذا الاتجاه على صعيد المناهج الدراسية، والبحث العلمي، والحرم الجامعي، في آنٍ معاً.

تلعب الجامعات بطبيعة الحال دوراً مهماً في حل المشكلات العالمية، لكنّ استخدام أهداف التنمية المستدامة كإطار مرجعي يشجّع البحوث العلمية متعددة التخصصات، ويحفّز الطلاب على مواجهة التحديات كأفراد، ويعزز النظر إلى الجامعات على أنها منارات موثوقة لديها دور حاسم في التنمية. كما أن الشبكة الجديدة ستدعم جهود الجامعات للمشاركة المباشرة في أجندة أهداف التنمية المستدامة، كأن تدمج التنمية المستدامة في عملياتها، أو من خلال المشاركة بالمواد التعلمية، أو عن طريق تطوير إستراتيجيات بحثية تركِّز على أهداف التنمية المستدامة.

وتستند المبادرة الجديدة إلى الدور الطويل الأمد الذي لعبته الرابطات الجامعية الثلاث للترويج لأهمية التعليم العالي في التنمية المستدامة، وإلى خبراتها في إنشاء الشبكات التي تعالج التحديات العالمية وربطها فيما بينها، وإلى مشاركاتها مع المبادرات الحالية كمبادرة (SDG Accord) التي أطلقت في عام ٢٠١٧ من جمعية البيئة للجامعات والكليات The Environmental Association for Universities and Colleges(EAUC)، وبدعم من أكثر من ٦٠ شبكة من شبكات الاستدامة والشركاء الدّاعمين؛ وتهدف هذه المبادرة إلى تحفيز التعليم العالي على لعب دور حاسم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والدفع باتجاه تطوير هذا الدور؛ وكذلك مبادرة «شبكات حلول التنمية المستدامة» Sustainable Development Network Solutions التي تعمل منذ عام ٢٠١٢ تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة لدعم تنفيذ أهداف التنمية المستدامة واتفاق باريس بشأن التغير المناخي. وستدعم الشبكة الجديدة التعاون بين أعضاء الرابطات الثلاث، وستعمل كمنصة دفاع قوية لإظهار مساهمة قطاع التعليم العالي لجمهور أوسع.

ولكن هناك نقاط أخرى يجب على الجامعات معالجتها كما تقول الدكتورة جوانا نيومان Joanna Newman، الأمين العام لرابطة جامعات الكومنولث؛ إذ يتعين على الجامعات أن تغير أسلوب عملها، وأن تستثمر في المقاربات المتعددة التخصصات وتقدّرها حقَ قدرها، وتقيّمها بما يتيح التقدم الوظيفي للأكاديميين ويُحتسب ضمن معايير ترقيتهم. وقالت نيومان: «بالحديث عن أهمية البحوث المتعددة التخصصات بالنسبة لأهداف التنمية المستدامة، فإن معظم الجامعات تجد صعوبة في الترويج لهذا التوجه لأن العاملين في البحث العلمي المتقدّم لا يزالون ينزعون إلى التفكير والعمل بشكل منعزل».

الشراكات المنصفة

لقد رحّب العديد من الجامعات بإطلاق الشبكة الجديدة، وهذا ما عبّر عنه البروفيسور آدم تيكيل Professor Adam Tickell، نائب رئيس جامعة ساسكس في المملكة المتحدة – موطن أحد الأقسام الرائدة التي تعنى بدراسات التنمية في العالم– إذ اعتبر أن إدراك الجامعات الكامل لإمكاناتها وقدرتها على مواجهة التحديات العالمية يتطلّب بناء شراكات منصفة مع المؤسسات الأخرى وخارج القطاع، وعلى الجامعات العمل مع الشركاء على ابتكار حلول للمشاكل التي يحددونها معاً، والشبكة الجديدة هي منصة للجامعات لبناء مثل هذه الشراكات.

وقد أيدت جامعة مانشستر على لسان نائب رئيسها ضرورة أن تعمل الجامعات بشكل متزايد على مواءمة إستراتيجياتها وعملياتها مع أهداف التنمية المستدامة، لتصبح منارات للاستدامة في مجتمعاتها وبلدانها. مؤكداً أهمية تبادل الممارسات الجيدة من خلال الشبكة الجديدة في تعزيز مساهمة قطاع التعليم العالي في التنمية المستدامة، واعتراف صانعي السياسات والجمهور الأوسع بدور هذا القطاع المهم في هذا المجال.

جامعاتنا.... والتنمية المستدامة

على الرغم من أن العديد من البرامج التعليمة التي أحدثت في جامعاتنا يتوافق مع أهداف التنمية المستدامة، فإننا ما زلنا نفتقر إلى إستراتيجية وطنية لدمج مفاهيم التنيمة المستدامة في برامجنا التعليمية وفي بحوثنا العلمية، وفي ممارساتنا على مستوى الحرم الجامعي. ولم توضع حتى الآن أي خطط لإدماج مفاهيم التنمية المستدامة في المناهج الجامعية، باستثناء جهد قامت به كلية التربية في جامعة دمشق بالتعاون مع منظمة اليونسكو في العام ٢٠١١ فوضعت دليلاً توجيهياً لإدخال مفاهيم التنمية المستدامة في برامج كلية التربية، ودراسة أعدّها في عام ٢٠٠٦ الدكتور محمد نجيب عبد الواحد معاون وزير التعليم العالي لشؤون البحث العلمي آنذاك، لمصلحة الصندوق السوري من أجل التنمية الريفية المتكاملة (فردوس)، لكن من غير الواضح ما إذا لقيت توصيات هاتين الدراستين طريقها للتطبيق.

وفي عام ٢٠٠٩ كانت جامعة دمشق تخطط لإقامة مؤتمر دولي عن التعليم العالي والتنمية المستدامة مساهمة منها في عقد «التعليم من أجل التنمية المستدامة» وذلك للاستفادة من الخبرات العالمية والاطلاع على الممارسات الجيدة في هذا المجال، وحصلت من جامعة الأمم المتحدة في اليابان على وعد بدعم هذا المؤتمر. إلا أن مجلس التعليم العالي ارتأى في ذلك الحين، أن يكون هذا الموضوع، نظرا لأهميته، عنواناً لأسبوع العلم في العام التالي. لكنّ ظروفاً حالت دون تحقيق هذا الأمر، وخصّص أسبوع العلم لموضوع آخر.

ومن أهم البرامج التي أحدثت في جامعة دمشق والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأهداف التنمية المستدامة، ماجستير «هندسة المدن والتنمية الحضرية المستدامة» الذي أحدث في كلية الهندسة المعمارية عام ٢٠٠٨ بالشراكة مع جامعة مارن–لا–فالييه الفرنسية Marne-la-Vallée (التي أصبحت فيما بعد Paris Est)، ثم انتقل إلى المعهد العالي للتخطيط الإقليمي عند افتتاحه. والعديد من المساقات التعليمية في هذا البرنامج، كعلم الاجتماع الحضري والبيئة المدينية، وقوانين وتشريعات التنظيم العمراني والبيئة، وأساسيات التنمية المستدامة، والمواصفات البيئية للمباني والبنى التحتية والأحياء، والتجديد العمراني والتقنيات البديلة لحماية البيئة، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأهداف السبعة عشر للتنمية المستدامة. كذلك أجري في المعهد العديد من البحوث العلمية في نطاق رسائل الماجستير التي حققت في مضمونها الارتباط العلمي والبحثي الواضح بين الجانب العمراني المتمثل بالتجديد الحضري، وبين مفهوم الاستدامة.

الاستدامة على صعيد الحرم الجامعي

لا ينبغي أن يقتصر دور الجامعات على إدماج مفاهيم التنمية المستدامة في برامجها التعليمة وبرامجها البحثية فحسب، بل لا بدّ أن يتعداه إلى ممارساتها الفعلية على صعيد الحرم الجامعي..... فالعديد من الجامعات في العالم وضع خططاً لتحويل حرمه الجامعي إلى «حرم أخضر» أي صديق للبيئة، وذلك بتخفيف انبعاثات الكربون، واستخدام الطاقات المتجددة، وإعادة تدوير المياه، وغيرها من الإجراءات. ومن الأمثلة المهمة عن ذلك «حالة الطوارئ المتعلقة بتغير المناخ» الذي أطلقته جامعة بريستول البريطانية University of Bristol، وأكدت فيه التزامها القوي والإيجابي باتخاذ إجراءات ذات صلة بالتغير المناخي، وتعهّدت بأن تعمل جاهدة للحد من انبعاثات الكربون التي تتسبّب بها. وقد سبق أن خفّضت الجامعة انبعاثات الكربون بنسبة ٢٧٪ منذ عام ٢٠٠٥ بفضل مجموعة من التدابير التقنية، بما في ذلك عناصر التحكم في التدفئة واستخدام إضاءة بصمامات ثنائية باعثة للضوء (LED). وتعهدت بأن تصبح محايدة للكربون بحلول عام ٢٠٣٠، أي أن تنخفض انبعاثاتها من الكربون إلى درجة الصفر. وفي شهر آذار من عام ٢٠١٨، أعلنت الجامعة عن خططها للتخلي بالكامل عن جميع الاستثمارات في شركات الوقود الأحفوري في غضون عامين.

ومن جهتها، تعد كلية بوودوين Bowdoin College في ولاية مين الأميركية مثالا مهماً آخر؛ فقد أصبح حرمها الجامعي محايدا للكربون في عام ٢٠١٨، أي قبل عامين من الجدول الزمني الذي تعهدت به كجزء من التزاماتها بشأن الحد من التغير المناخي.

ومن الجدير بالذكر في هذه السياق أن منظمة الأمم المتحدة للبيئة أصدرت مجموعة أدوات Greening university Toolkit لمساعدة الجامعات على تصميم وتطوير وتنفيذ إستراتيجيات للحرم الجامعي الأخضر ذي الكفاءة في استخدام الموارد ومنخفض الكربون.

الاستدامة ضرورة ملحة وليست خياراً

يحظى التعليم العالي باهتمام أكبر من أي وقت مضى، وخاصة ما يتعلق بأهميته في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. وتتمتع الجامعات بمكانة فريدة من نوعها لقيادة عملية التنفيذ القطاعي المشترك لأهداف التنمية المستدامة، لكونها مصدراً لا يقدر بثمن للخبرة في مجال البحث والتعليم في جميع قطاعات الأهداف المستدامة، بالإضافة إلى اعتبارها جهة فاعلة محايدة ومؤثرة على نطاق واسع.

ومن هذا المنطلق، لا بد أن تعمل جامعاتنا على إدراج مفاهيم التنمية المستدامة في برامجها التعليمية والبحثية، وكذلك في ممارساتها العملية. وقد يكون ذلك بناء على إستراتيجية وطنية يضعها مجلس التعليم العالي. ولم يعد هذا الأمر خيارا نأخذ به أو لا نأخذ، بل أصبح ضرورة ملحة ومبدأ تلتزم به كل جامعات العالم. ومن الجدير بالذكر أن وجود عنصر الاستدامة في كل المساقات التعليمية بات مطلباً وشرطاً أساسياً لاعتماد البرامج الأكاديمية لا غنى عنه بالنسبة لمؤسسات الاعتماد العالمية.

كما لا بد أن تعمل جامعاتنا على جعل الحرم الجامعي «أخضر» ما أمكن، أي صديقاً للبيئة، وذلك بتحسين العزل في الأبنية الجامعية، ورفع كفاءة استخدام الطاقة فيها، واستخدام الطاقات المتجددة ما أمكن في تدفئة وتكييف المباني، وإعادة تدوير المياه واستخدامها في ري الحدائق، وغيرها من الإجراءات. وهذا بالتأكيد ليس بالأمر اليسير، وقد يتطلب استثمارات كبيرة، ولكنه حتماً ليس بالأمر المستحيل، وله انعكاسات إيجابية على الحياة الطلابية وعلى البيئة الجامعية عموماً. كذلك لا يعقل أن تقوم الجامعات بتدريس مفاهيم التنمية المستدامة وتكون ممارساتها على صعيد الحرم الجامعي بعيدة كل البعد عنها. ومن الضرورة بمكان أن تتصف الأبنية الدائمة الحديثة للجامعات التي أحدثت مؤخراً كجامعة طرطوس، وكذلك لفروع الجامعات في المحافظات كفروع جامعة دمشق في محافظات درعا والسويداء والقنيطرة، بالأبنية الصديقة للبيئة من حيث تصميمها ومواد إنشائها وعزلها واستهلاكها للطاقة وغيرها من الصفات. وكانت جامعة دمشق قد وجّهت القائمين على دراسة هذه الأبنية بمراعاة ذلك.

وأخيراً لا بدّ من الإشارة إلى أن تصنيفاً جديداً لجامعات العالم صدر في مطلع العام الحالي عن جريدة التايمز الإنكليزية، وأطلق عليه «تصنيف الجامعات وفق تأثيرها العالمي» Global Impact Ranking. وهو تصنيف يستند بشكل أساسي إلى كيفية عمل الجامعات من أجل تحقيق ١١ هدفاً من أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، تشمل الصحة الجيدة والرفاهية، وجودة التعليم، والجهود المبذولة لتحقيق المساواة بين الجنسين، والاستهلاك والإنتاج المسؤولين، واتخاذ إجراءات ضد تغير المناخ، والحد من أوجه عدم المساواة، وغيرها. وقد تضمن هذا التصنيف العديد من الجامعات العربية (منها ١٦ جامعة مصرية. وثلاث جامعات جزائرية، وجامعتان من لبنان) على حين غاب عنه جميع الجامعات السورية. لذا أصبح لزاماً على جامعاتنا أن تبذل جهداً أكبر في هذا الإطار، خدمة لهدف التنمية المستدامة وتحسيناً لمنزلتها العالمية.

غوطة دمشق.. مهوى أفئدة الشعراء

منير كيال

تمكن الإنسان من إيصال المياه اللازمة لكل بيت في مدينة دمشق، ولكل مرفق من مرافقها العامة، كالمساجد والحمامات والسبلان.

كما أن هذا الإنسان لم يأل جهداً لإيصال المياه لكل ذرة تراب من أراضي غوطة دمشق، حيث جعل المياه عبر طرق ومسارب تحار العين في اجتماعها وافتراقها، حتى لكأن كل نقطة ماء مرصودة لري ذرة تراب وفق عدادات متوارثة، ووفق أعراف وتقاليد لا يمكن الخروج عليها.

وهكذا فإن قنوات تورا والداعياني والعقرباني والديراني بل قناة بانياس المتفرعة عن نهر بردى توصل المياه إلى كل ذرة تراب بالغوطة.

فمياه قناة تورا تتوزع بأراضي جوبر وزملكا وحزة ومديرة ومسرابا وحرستا ودوما.

ومياه قناة الداعياني تتوزع بأراضي عين ترما وكفر بطنا وجسرين وسقبا وحمورية.

كما أن مياه هذه القناة تصل إلى أراضي جرمانا والمليحة وبيت سحم وعقربا بل زبدين ودير مجدل.

كما أن مياه الداراني تروي أراضي داريا وكفر سوسة والمزة والقدم.

أما مياه قناة بانياس فتصل إلى ببيلا ويلدا والسيدة زينب وحجيرة والبويضة.

وهذا كله ساعد على جعل الغوطة تقدم للإنسان ما تطرحه أرضها من ثمار أشجارها التي ينعم بها الإنسان وخاصة المشمش والإجاص والدراق، وأيضاً الزيتون والجوز، على تعدد أنواعها، حتى إن المرء يكاد يحار أي من هذه الثمار ألذ طعماً.

ونذكر على سبيل المثال أن الدالية أو شجرة العنب تطرح ما كان من العنف الأسود الرومي والأبيض الزيني والبلدي، وكذلك العنب الحلواني والديراني، أما العنب الأحمر فقد اشتهرت به أراضي مدينة دوما.

كما كنا نجد للزيتون أنواعاً منها ما يعرف بالجلط والدان والمصعبي والتفاحي والاستنبولي والحبلاس، وأيضاً المعطون.

ونجد من المشمش ما يمكن أن منه ما يعرف بالمشمش البلدي واللوزي والماوردي والحموي والتدمري وأيضاً المشمش الشحمي.

وهذا كله إن دل على شيء، فإنما يدل بالدرجة الأولى على امتداد أراضي الغوطة واتساعها، قبل أن يعمد الإنسان إلى اغتيال أراضي الغوطة، ويضم على مساحاتها الزراعية المصانع وورشات الحدادة والدور، حتى إن من الممكن الإشارة إلى ما ذكره ابن شداد بالقرن الثالث عشر للميلاد من أن أراضي الغوطة في أيامه تضم خمسة آلاف وثلاثمئة وخمسين بستاناً، وعلى خمسمئة وخمسين كرماً، وكان من أراضي الغوطة ما ينفرد بزراعات ومحاصيل اشتهرت بها، فالبطاطا ليبرود والثوم للكسوة والفول لأراضي كفر سوسة والخس لأراضي اللوان والعنب الأحمر لبلدة دوما وكان لكل نوع من أنواع المشمش أراض تنفرد أو تشتهر بزراعته.

وذكر ابن طولون الصالحي أنه كان بأراضي الغوطة نحو من سبعين قرية، ومن هذه القرى ما كان على أبواب مدينة دمشق للإسهام بتموين هذه المدينة بالخضار الطازجة، وقد عرف أصحاب أراضي الغوطة بالصبر والمجالدة في استثمار أراضيهم، من زراعة وقطاف وتسويق، فالفلاح بالغوطة يستثمر أرضه بيده بعدة أساليب ليكفل طعامه وطعام عياله.

ومن هذه الأساليب ما كان يعرف بأسلوب البستنة أو بأسلوب الدورة الزراعية، وقد يعمد إلى أسلوب المرابعة أو الضمان بالاعتماد على الغير في استثمار هذه الأراضي.

ويعتمد أسلوب البستنة على تقسيم الأرض إلى مساكب أو مساحات صغيرة ثم يزرع بهذه المساكب ما يدر عليه من قطاف يومي على مدى أيام الحول.

أما أسلوب الدورة الزراعية، فيقوم على زراعة مساحات من الأرض واسعة، تتنوع بين فصل وآخر من فصول السنة حفاظاً على خصب الأرض.

وقد يعمد صاحب الأرض الزراعية إلى الاعتماد على إنسان آخر ليقوم على استثمار الأرض أو جانب منها لقاء حصوله على ربع محصول أرضه الذي يجنيه المستثمر أو قيمة ذلك نقداً وهذا ما عرف بأسلوب المرابعة.

وقد يعمد صاحب الأرض إلى بيع محصول من محاصيل أرضه لقاء مبلغ من المال وهذا ما يعرف بأسلوب الضمان.